

الأريكة

إلى توفيق القباطي

عندما أمرُّ من أمامه وهو جالسٌ على تلك الأريكة - التي وضعتها في ذلك المكان يدُّ لا تعرفُ لماذا خُلِّقتْ - أشعرُ وكأن مغناطيسية الرخام تجذبني نحو كوةٍ مكتظةٍ بسبائكِ سكينَةٍ لها لونُ الأسرارِ والعبقريّة. في تلك اللحظة تبدو الكائناتُ التي بجواره هوامٌ تسبحُ في فضاءاتٍ متكسرة، ما تلبث أن تمتصها فوهةٌ منفضةٍ سجائرٍ بجانب الأريكة. أقول له:

- هذه الهوامُ لا تعرفك، ولا تعرفُ أن الأريكة إنما وضعت في ذلك المكان من أجلك، كي تنفثَ دخانَ سجائركَ من عليها كل صباح.
لا يسمعي كعادته، أو هكذا يخيل إليّ... ثم ما يلبث أن يبدأ رحلته اليومية المبتلة بالأسئلة:
" مَنْ منهما حرٌّ طليقٌ يا ترى؟ " يحدث نفسه وهو يفكر بمسجونٍ عبقرٍ وسجانٍ بليد!
يقول بصمت: " الأولُ مأسورٌ للمطلق، والآخر منطلقٌ في القيد."

* * *

ما يزال مستغرقاً في التفكير على الرغم من تلك الابتسامة الودودة التي ارتسمت على وجهه المتعب... وها أنا فجأة أستيقظُ من غفوتي القصيرة على ضجيج الكائنات التي تمرُّ بيني وبينه، دون أن ترى الأريكة التي وضعتها هناك يدُّ لا تعرف لماذا خُلقت!... ودون أن تراني، أو ترى العواصف التي يحدثها رحيلك في شوارع الصمت... تمر الكائنات من أمامه دون أن تراه نوراً خافتاً لبريق معدنٍ من ذهبٍ خالص.

مودعاً أغادره نحو كهفٍ تملئه عقارب شاخت، وما تزال صورته منطبعةً في ذهني: متكئاً على الأريكة... وبنكهة الزنجبيل يرشفُ فنجان قهوته الصباحية.